الكلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الماجستير

أستاذ المادة : أ.م.د علاء مطر تايه

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ المشرق الاسلامي في العصر العباسي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of the Islamic East in the Abbasid Era

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة العربية: عوامل قيام الامارة السامانية في بلاد ما وراء النهر وصراع الأخوة

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة الإنكليزية : Factors of the establishment of the Samanid emirate in Transoxiana and the struggle of brothers

يرجع تأسيس هذه الدولة الى سامان بن بهرام جوبين الفارسي الأصل(1)، وكان سامان هذا قد لجأ الى اسد بن عبدالله والي خراسان للخليفة هشام بن عبدالملك فأعانه أسد على علو له كان قد أخرجه من بلخ، فاهتم أسد بأمر سامان حتى أعاده الى بلده، وقد دعيس سامان الى الاسلام فأسلم. خلف سامان ابنه أسد الذي انضم الى ابي مسلم الخراساني داعية العباسيين في خراسان، وبعد نجاح الثورة العباسية استمرت علاقة أبناء اسد بالخلافة العباسية قوية، حتى أنهم ساعدوا في اخماد الثورة التي قادها رافع بن ليث ضد الخلافة العباسية في خراسان أيام الخليفة هارون الرشيد. وقد قدر الخليفة المأمون لأبناء أسد مواقفهم واخلاصهم فخلع عليهم وقربهم اليه، وأمر أن يعين أبناء أسد كل منهم في اقليم من اقاليم بلاد ماوراء النهر. وقد وافق الطاهريون على هذا التعيين، فأسند الي نوح إقليم سمرقند وإلى احمد إقليم فرغانه والى يحيى اقليم الشاس واشروسنه أما الياس فكان له اقليم مراة(٣)، وقد ظل ابناء أسد في ولاياتهم يخلصون للخلافة ويظهرون لها الولاء والطاعة حتى أيام حكم الاسرة لاقليم خراسان (٢٠٠ – ٢٥٩هـ). وفي هذه الأثناء بدأت زعامة الاسرة السامانية تنتقل الى احمد بن اسد، الذي توفي في عام ٢٥٠هـ، وقد وافق الطاهريون على أن تنتقل زعامة الاسرة الى ابنه نصر الذي أصبح نائباً للطاهريين في بلاد ماوراء النهر، واستمر في نيابته حتى سقطت الدولة الطاهرية على يد الصفاريين الذين دخلوا نيسابور عام ٢٥٩هـ، عندها أصدر الخليفة المعتمد مرسوماً يقضي بتعيين نصر بن احمد أميراً مستقلاً في بلاد ماوراء النهر وذلك في عام ٢٦١هـ وهذا يعني بداية استقلال الاسرة السامانية وبروز شخصيتها في : وهذا أمر جدير بالملاحظة وهو أن الخليفة العباسي نفسه هو الذي أصدر مرسوم الولاية لنصر، أما قبل ذلك فكان مرسوم ولايتهم يصدر من خراسان.(4) تلك المنطقة.

المنطقة حيث ريبدو أن الخلافة العباسية قد اتخذت هذه الخطوة حماية لمصالحها في ا أخذت الدولة الصفارية في تهديد هذه المصالح خاصة بعد تحطيم آخر معاقل الطاهريين في نيسابور عام ٢٥٩هـ، فكان ابراز الاسرة السامانية والدفع بها الى مسرح الأحداث السياسية والعسكرية أمراً حيوياً للخلافة لتضع بذلك حداً لأطماع الصفاريين.

اتخذ نصر من سمرقند عاصمة لدولته الجديدة، وأخذ يعمل على توطيد حكمه في بلاد ماوراء النهر ويقضي على المشاكل التي واجهته، ويعيد تنظيم المؤسسات لتتمشى مع ظروف دولته الجديدة.

ومن أبرز المنجزات التي قام بها الأمير نصر في أيامه الاولى ضم مدينة بخاري لدولته الجديدة، وكانت تابعة من الناحية الادارية للصفاريين، فقد تعرضت هذه المدينة لهجمات خارجية سلبت ونهبت ودمرت الكثير من ممتلكات الاهالي الذين تصدوا للدفاع عن مدينتهم ببسالة، الأمر الذي أرغم الغزاة الشوارزميين على الانسحاب تاركين الأموال التي نهبوها وجمعوها من الأهالي فتقاسمه الثوار والأهالي «واغتني منه أناس كثيرون فظل أثر هذا في أعقابهم. الذي لكن الأمور في بخارى لم تستقر بسبب ضعف السلطة القائمة هناك فانتشرت الفوضى واستشري الفساد وعم الاضطراب، فقرر وجهاء المدينة وقادتها بزعامة ابن عبدالله الفقيه اللجوء الى الدولة السامانية(1) بقيادة نصر لانقاذ مدينتهم من هذا الكابوس المخيف أقص مضاجعهم، وكان من الطبيعي أن يوافق نصر على مطلبهم بعد دراسة الظروف والملابسات المحيطة بأوضاع بخاري، وأخذ يبحث عن قائد له خبرة وكفاية تمكنه من انجاز هذه المهمة الصعبة والدقيقة في نفس الوقت، فوقع اختياره على أخيه اسماعيل(7) لقدرته وحنكته السياسية.

سافر اسماعيل الى بخاري وفي طريقه اليها مر بمدينة كرمينيه واستقر بها أياماً واجتمع فيها مع بعض وجهاء ورجالات بخاري الذين كانوا في استقباله هناك وكان على رأسهم ابوعبدالله، وقد «أدرك اسماعيل أن أهل المدينة لا ينقضون ما يفعله ابوعبدالله فقوى ذلك من عزيمته.»(٨) وتدارسوا جميعاً الموقف والاجراءات التي يمكن اتخاذها للسيطرة على ناصية الأمور واعادة الأمن والهدوء والطمانينة الى المدينة، وبعد دراسة شاملة شعر اسماعيل بالاطمئنان للموقف فانتقل معهم الي بخاري حيث استقبل هناك بحفاوة بالغة ونثروا الذهب وقدموا له العطايا، ورفعت الخطبة باسم نصر بدلاً من يعقوب الصفاري وكان ذلك في غرة رمضان عام ، وقد واجه اسماعيل عند وصوله مجموعة من المشاكل منها، دسائس الحسين بن طاهر، وعصابات اللصوص والمتمردين المنتشرين في أنحاء المدينة.

بدأ اسماعيل في اتخاذ الاجراءات والتدابير اللازمة واعادة تنظيم المؤسسات والادارات مركزاً على النواحي الأمنية، فأصدر أوامره بمتابعة اللصوص وقطاع الطرق لمطاردتهم، ويذكر ان عددهم كان حوالي أربعة آلاف يعيثون فساداً(١٠)، كذلك، تتبع نفوس الفتنة ومثيري الشغب، وقد حقق في هذا المجال نجاحاً واضحاً، وكان اسماعيل في تحركه يستعين بملاك الاراضي ووجهاء البلاد الذين كانت مصالحهم تتطلب استتباب الأمن واعادة الهدوء الى ربوع البلاد(١١). . ومعنى ذلك أنه نجح في كسب ثقة وجهاء البلاد وأولي الأمر فيها، وبينما كان اسماعيل ينفذ خطة التهدئة واقرار الأوضاع، تعرضت بخارى لهجمة خوارزمية قام بها الحسين بن طاهر الخوارزمي، إلا أن اسماعيل تمكن من التصدي للمهاجمين وأرغمهم على الانسحاب فتعلق به الناس والجند لتحقيق العديد من المكاسب والانتصارات (١٢) على يديه.

وما كاد اسماعيل يفرغ من أمر هذه الهجمة حتى تناقل الى مسامعه ان بعض رجالات بخاري يتأمرون لاعادة الفوضى واثارة الفتن من جديد، ويبدو أن هؤلاء ممن أصاب الاصلاح مصالحهم

فشعروا بالخسارة وتمنوا اعادة العجلة الى الوراء وهذا شأن كل فئة ضالة فاسدة لا تعيش الا في ظل الفوضى والفساد ففيهما الفرصة المناسبة لتحقيق المكاسب واشباع النهم.

لكن اسماعيل بما عرف عنه من حكمة وروية تدبر الأمر بتعقل وبدأ في علاج الأمر بأعصاب هادئة فتعرف على هوية هؤلاء، وأوعز لهم بطريقته الخاصة بأنه يعلم ما يدبرونه وما يهدفون إليه، فارتبكوا وتداخلت أوراقهم، ولم يجدوا مفراً من الاعتراف أمامه والاعتذار اليه عما بدر منهم من مخالفات، فقبل اسماعيل ذلك ... ولكنه أقنعهم بضرورة السفر الى سمرقند والاعتذار لأخيه نصر على اعتبار انه صاحب الشأن في الدولة وأنه ليس الا نائباً لأخيه نصر.

وكانت هذه حيلة بارعة من اسماعيل لابعادهم عن بخاري، وبالفعل شد هؤلاء الرحال الي سمرقند حيث قابلوا الامير نصر الذي أمر بالقبض عليهم بناء على رسالة وصلت اليه على وجه السرعة من أخيه اسماعيل شارحاً خطورة هؤلاء الرجال وتأمرهم، وبذلك تخلص اسماعيل من مشكلة كادت أن تسبب له الكثير من الاحراج والصعوبات. وبعد التخلص من هذه المشاكل انتشر الأمن وعم الاستقرار والطمأنينة في ربوع مدينة بخارى وما حولها، هنا وجد اسماعيل أن الظرف أصبح مناسباً للقيام بزيارة لأخيه نصر في سمرقند عاصمة البلاد.

الصراع بين الأخوة

مما سبق يتضح لنا أن الاخرة قد بذلوا جهوداً مشتركة في سبيل اقرار سلطة الدولة وتوسيع ممتلكاتها، إلا أن خلافاً قد وقع بين الاخوة، وتطور هذا الخلاف الى حد تفجر الصراع المسلح بينهما، وقد بدأ الخلاف عندما غادر اسماعيل بخارى قاصداً سمرقند دون علم أخيه نصر، فاعتبر نصر هذا التصرف إهانة موجهة له فلم يأبه بوجود أخيه اسماعيل، كما انه لم يستقبله ذلك

الاستقبال الذي يليق به، بل وقف منه موقفاً سلبياً، وقد حاول اسماعيل ان يستفسر عن أسباب هذا الموقف، لكنه لم يجد اجابة شافية وظل في سمرقند فترة طويلة حتى تمكن وبعد أن تدخل افراد الاسرة فيما بينهم أن ينهي الأزمة مع أخيه نصر وعاد اسماعيل بعدها الى بخارى.

كان اسماعيل على علاقة طيبة مع رافع بن هرثمة الذي كان صاحب خراسان في تلك الفترة، وعقد معه حلفا (١٣)، وقد استغل هذا التقارب بين الطرفين من قبل الوشاة الذين أفهموا نصر بأن هذا التحالف انما أقيم ضده، وهذا أمر قد يهدد سلطته ومصالحه فعاد التوتر بين الاخوة الى سابق عهده، وتذكر بعض المصادر أن اسماعيل كان قد أقام نائباً عنه في بخاري حين غاب عنها بعض الوقت فاستقبح نصر ذلك.

وقبل الحديث عن مرحلة الصراع، لابد من محاولة تفسير ما يحدث بين الاخوة، فبعض المصادر ترى أن الوشاة ومحبي الفتن والدسائس قد دخلوا بينهم فأفسدوا، والبعض الآخر يرى أن عدم وفاء اسماعيل بالتزامات قطعها على نفسه لأخيه نصر، لكن الذي اتصوره عن اسباب الخلاف بالاضافة الى ما سبق ذكره، أن نصر ربما كان يخشى على ملكه من أخيه اسماعيل الذي أثبت قدرة وكفاءة في علاج الموقف المتردي في بخارى، وكذلك تخوفه من التقارب الذي حدث بين اسماعيل وبين رافع صاحب خراسان حتى أن الاخير تنازل له عن بعض ممتلكاته، ويمكننا الجمع بين العوامل السابقة بعضها مع البعض الآخر لنعطي تفسيراً لما حدث بين الاخوة، أما مايقال عن قضية زيارة اسماعيل لأخيه نصر بدون استئذان سببت الترتر فاعتقد أن هذا سبباً لايكفي للأخذ به، خاصة وأن أحداث المستقبل ستظهر أن اسماعيل لم يكن ذلك الرجل الطامع الحاقد الذي يفكر في اغتصاب الملك من أخيه.

وعلى العموم وصل التوتر بين الآخرة مرحلة اللا عودة ففكر نصر في اعداد حملة عسكرية يتوجه على رأسها إلى بخارى لضرب أخيه أسماعيل وكان ذلك في عام ٢٧٢هـ وفعلاً تمكن نصر في هذا

العام من الدخول الى بخاري التي انسحب منها اسماعيل، وكان هذا قد اتصل بصديقه رافع بن هرثمة وطلب أن يمده بمساعدات تمكنه من التصدي لهجوم نصر، فاستجاب رافع صاحب خراسان وتقدمت قواتهما صوب سمرقند، وفي الطريق اليها واجهتهم مشاكل التموين التي قاسوا منها الكثير خاصة بعد أن تمكن نصر من قطع الاتصال بين بخاري واسماعيل الذي لم يعد قادراً على الاتصال بقاعدته بخارى

وقد علم نصر بتوجه اسماعيل ورافع الى سمرقند فكتب الى ابنه هناك أن يكون مستعداً لمواجهة عمه إذا وصل الى سمرقند.

لكن هذه التطورات السريعة نحو الاحتكاك لم يترتب عليها ولحسن الحظ أي اقتتال بين الاخوة وذلك لتدارك الموقف من قبل قادة الجيش الذين يهمهم أمر استقرار الدولة والحفاظ على مكاسب الاسرة، وكان أبرز هؤلاء القائد حمويه بن علي الذي كان لديه بعد نظر وحنكة وروية في معالجة الأمور، فحمويه هذا كان يخشى اذا وقع الصراع بين الاخوة أن يضعف أمرهما، وعندها لا يستبعد أن ينتهز الفرصة رجل كرافع بن هرثمة للانقضاض على ممتلكات السامانيين، خاصة وأن له خبرة سابقة وتجارب في مثل هذه القضايا. لذلك تدخل حمويه بين الاخوة وأقنعهم بتوقيع صلح يتفقان على بنوده خدمة لمصلحة الدولة، وقد نجح همنيه في ضم رائع بن مرثمة إلى جانبه ليكون هو الآخر واسطة خير بين الاخرة بدل أن يناصر أحدهما ضد الآخر.

عقد الصلح بين الاخوة على أن يكون اسحق بن احمد أميراً على بخاري، ويصبح اسماعيل عاملاً على الخراج ولاتكون أموال الدولة باسمه، وأن يرسل مبلغاً سنوياً من المال يقدر ٥٠٠ ألف درهم) وعاد كل منهما الى مقره، بعد أن حقق نصر الشروط التي يريدها، ولم يعترض اسماعيل على هذه الشروط رغم قسوتها بالنسبة له.

بعد فترة عاد التوتر من جديد، ويبدو أن اسماعيل لم يتمكن من دفع المبلغ الذي تعهد به لأخيه نصر، الأمر الذي دفع الأخير الى اعادة تجميع قواته والدفع بها الى بخاري وذلك في عام ٢٧٥هـ، واستعد اسماعيل للمواجهة، فاشتبك الطرفان في معركة قاسية هزم على أثرها الامير نصر الذي وقع أسيراً في قبضة أخيه أسماعيل الذي أحسن اليه وأكرم وفادته وأظهر له الطاعة والولاء وخاطبه قائلاً: «أيها الامير انها ارادة الله التي شاءت أن أراك اليوم وأنت في الاسر.. فأجابه نصر: «بل هي ارادتك أنت إذ خرجت على سيدك وأذنبت بذلك في وبعد فترة قضوها سوياً طلب اسماعيل من أخيه نصر أن يعود الى سمرقند مقر دولته معززاً مكرماً دون المساس من هيبته أو كرامته، بل العكس هو الذي حدث عندما ودع اسماعيل أخاه نصر، ودعه قائلا له: «إني أحكم بالنيابة عنك في هذه الديار، وقد دهش الامير نصر من هذه المعاملة التي قابله بها اسماعيل وتلك الحفاوة.» حق الله.

وعلى العموم فقد عاد نصر الى سمرقند ليمارس سلطاته من جديد حاكماً للدولة السامانية بغض النظر عما حدث وظل هكذا حتى توفي عام ٢٧٩هـ ، وكان دينا عاقلاً وله شعر حسن منه ما قاله في رافع بن هرثمة:

أخوك فيك على خير ومعرفة لوى زمان خزون في تصرفه

إن الذليل ذليل حيثما كانا وليلة ظلمت ما كنت انسانا